

الفضاءات العامة الحضرية بين التغيرات والتحولات الاجتماعية: مقاربة سوسيولوجية

Urban Public Spaces Between Encroachments and Social Transformations: A Sociological Approach

ط.د عبد الفتاح نور الدين^{1*}، د. عمار مبروكي²

¹ مخبر مجتمع المدينة، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، abdefetah.nouredine@univ-constantine2.dz

² مخبر مجتمع المدينة، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، amar.mabrouki@univ-constantine2.dz

تاريخ النشر: 2025-06-04

تاريخ القبول: 2025-06-03

تاريخ الاستلام: 2025-02-26

ملخص: يعتمد البحث على مقاربة سوسيولوجية تنظر إلى الفضاء العام بوصفه نتاجاً لعمليات اجتماعية وسياسية متداخلة، وليس مجرد حيز جغرافي، ويحلل طبيعة التفاعل الاجتماعي في هذه الفضاءات، وأهميتها في تعزيز التماسك الاجتماعي، مع دراسة العوامل المؤدية إلى التغيرات عليها. تسعى هذه الدراسة إلى دراسة الأسباب التي تؤدي إلى تزايد الاعتداءات على الفضاءات العامة في الجزائر، كما تهدف إلى تقديم تحليل للآثار السلبية الناتجة عن هذه الظاهرة على الأفراد والمجتمع بشكل عام، والعمل على اقتراح حلول علمية وعملية للحد منها وقد استخدم لهذا الغرض المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الورقة البحثية إلى نتائج أهمها: الفضاءات العامة الحضرية تعكس التفاعلات الاجتماعية، التغيرات على الفضاءات العامة ناتجة عن مجموعة من العوامل المتداخلة - تؤدي هذه التغيرات إلى تقلص المساحات المخصصة للتفاعل الاجتماعي - هناك علاقة بين تزايد الفقر والبطالة وبين تصاعد الاعتداءات على الفضاءات العامة - التحولات الاجتماعية التي شهدتها الجزائر، مثل الهجرة الريفية والنمو السكاني العشوائي، ساهمت في تغيير أنماط استخدام الفضاءات العامة وزيادة الضغط عليها.

الكلمات المفتاحية: الفضاءات العامة؛ التفاعل الاجتماعي؛ التغيرات الحضرية؛ التخطيط العمراني؛ التحولات الاجتماعية.

Abstract: The research adopts a sociological approach that views public space as a product of intertwined social and political processes rather than merely a geographical area. It analyzes the nature of social interaction within these spaces and their importance in promoting social cohesion, while also examining the factors leading to encroachments on them.

This study aims to investigate the reasons behind the increasing encroachments on public spaces in Algeria. It also seeks to provide an analysis of the negative effects of this phenomenon on individuals and society as a whole, while proposing scientific and practical solutions to mitigate it. For this purpose, the study employs the descriptive-analytical method.

The research paper concludes with several key findings, including: urban public spaces reflect social interactions; encroachments on public spaces result from a combination of overlapping factors; such encroachments lead to a reduction in areas designated for social interaction; there is a correlation between rising poverty and unemployment and the increase in public space encroachments; and the social transformations witnessed in Algeria, such as rural migration and unplanned population growth, have contributed to changes in the patterns of public space usage and increased pressure on these spaces.

Keywords: Public spaces; social interaction; urban encroachments; urban planning; social transformations.

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

تعد الفضاءات العامة في المدن من الركائز الأساسية التي تساهم في تشكيل الحياة الحضرية، وهي تمثل المساحات التي يستخدمها جميع أفراد المجتمع بشكل مشترك، سواء لأغراض الترفيه، أو التنقل، أو التفاعل الاجتماعي، بحيث تعتبر هذه الفضاءات بمثابة المرآة التي تعكس الهوية الحضرية لأي مدينة، كما إنها تظهر مدى تطور المجتمع ومدى اهتمامه بالجوانب البيئية والإنسانية، وفي الوقت الذي تعتبر فيه الفضاءات العامة مكانا للتلاقي والتفاعل، فإنها تواجه تحديات عديدة قد تؤثر على وظيفتها وأهميتها.

إن ظاهرة التعدي على الفضاءات العامة لا تقتصر على حيز مكاني معين، بل تتصف بها العديد من البلدان لا سيما منها مدن العالم الثالث، فالعديد من الفضاءات العامة للحواضر تعرف تحولات كبيرة نتيجة لتزايد الاعتداءات والممارسات غير القانونية التي تؤثر سلبا على جمالية المدن وعلى حياة المواطنين، تتنوع هذه الاعتداءات بين التعديات على المساحات الخضراء، واحتلال الأرصفة، وإزالة المنشآت العامة، وغيرها من الأشكال التي تحد من استخدام هذه الفضاءات بشكل آمن وصحي.

و الجزائر كغيرها من مدن العالم الثالث تعرف فضاءاتها العامة خاصة الكبرى منها، اعتداءات متعددة تسببت في تدهورها، وهو ما يعكس تزايدا في مظاهر السلوك غير المسؤول تجاه هذه المساحات الحيوية، كما تتخذ الاعتداءات على الفضاءات العامة في الجزائر أشكالا متعددة، من بينها التعديات على الأرصفة، واحتلال المساحات الخضراء، وتخريب المنشآت العامة، البناءات العشوائية، الشيء الذي جعلها تتصف بتدمير جمالي لهذه الفضاءات وتدهور نوعية الحياة الحضرية بشكل عام، لا تقتصر هذه الاعتداءات على تهديد استدامة هذه الفضاءات فقط، بل إنها تؤثر بشكل مباشر على جودة الحياة في المدن، من خلال زيادة الضغوط الاجتماعية، وتدهور البيئة الحضرية، وتراجع الأمن والنظام في الأماكن العامة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الفضاءات في بناء العلاقات الاجتماعية وتوفير أماكن للتواصل والترفيه، فإن الاعتداءات المتزايدة عليها قد أسهمت في تدهور هذه الفضاءات، مما ينعكس بشكل مباشر على جودة حياة الأفراد وسلامتهم، إن هذه الظاهرة لا تعد مجرد مشكلة فردية أو سلوكية، بل هي نتاج مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تتداخل في تحديد سبب انتشار هذه الظاهرة، فالأوضاع الاجتماعية بما في ذلك الفقر، التهميش، وتراجع القيم الاجتماعية، تلعب دورا كبيرا في تطور هذه الظاهرة، إضافة إلى ذلك تساهم العوامل الاقتصادية، مثل النمو السكاني غير المنظم وعدم توفير البنية التحتية الملائمة، في تفشي هذا السلوك.

من جهة أخرى، لا يمكن إغفال تأثير السياسات المحلية والغياب في تطبيق القوانين التي تنظم استخدام الفضاءات العامة، مما يجعل هذه الفضاءات عرضة للتحديات المستمرة.

إن تحليل هذه الظاهرة من منظور سوسيولوجي يمكن أن يظهر أبعادا متعددة للأسباب والآثار المترتبة عليها.

ومن خلال هذا الإشكال نطرح التساؤل الآتي:

✓ كيف تساهم التحديات والتحولات الاجتماعية في تغيير وظيفة الفضاءات العامة الحضرية وأثرها على التفاعل الاجتماعي؟

2- أهداف الدراسة:

بناءً على هذه الرؤية، تهدف الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية، من أبرزها:

- ✓ معرفة الجوانب السوسيو حضرية للتعدي على الفضاءات العامة
- ✓ معرفة مدى تأثير الظاهرة من حيث علاقتها بالبنية الاجتماعية والحياة الحضرية.
- ✓ محاولة الوصول إلى تفسير سوسيولوجي لظاهرة التعدي على الفضاءات العامة
- ✓ الكشف عن انعكاسات التعديات على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات داخل المناطق الحضرية.
- ✓ الكشف أوجه القصور في السياسات الحضرية التي قد تؤدي إلى تفاقم الظاهرة.

3- مفاهيم الدراسة:

1.3- المدينة:

• **لغة:** أقام، فعل مُمَات، و منه: المدينة، للحصن يبني فيه اصططمة الأرض، جمع مدائن، مُدُنٌ و مُدُنٌ، و مَدَنَ: أَنَاهَا، و المدينة، الأمة و ستة عشر بلدًا، و مدن المدن مدائن تمدينًا: مَصَرَهَا (مجد الدين، 2008، صفحة 1519)

• **إصطلاحا:** عرفها "روبرت بارك" على "أنها إتجاه عقلي، فهي من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد، وهي نتاج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية على وجه الخصوص وفي النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، ولهذا السبب فإنها تعتبر منطقة ثقافية بنمطها الثقافي المتميز". (غيث، 1995، صفحة 135)

وعليه تتجاوز المدينة كونها مجرد تجمع سكني للأفراد، لتؤدي أدوارًا اجتماعية وثقافية مهمة، فهي تمثل بناء اجتماعيا حضريا يقع ضمن مجال عمراني ذي ثقافة خاصة، ويشمل مجموعة من العلاقات والأدوار المتبادلة التي تتكامل وظيفيا لتلبية احتياجات الأفراد والمجتمع المحلي الحضري بطرق منظمة ومهيكلية.

كما بين "عبد الحميد رشوان" بأنه من الصعب وضع تعريف محدد لمصطلح المدينة، ذلك انها ظاهرة معقدة تولدت عن تفاعل عدد من العوامل المتشابهة، ومن ثم اختلف العلماء في تعريفهم لها، وظهرت تعريفات مختلفة حسب وجهة نظر كل عالم، فمن العلماء من تصور المدينة امتداد للقرية على اعتبار ان هناك تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي وما هو حضري، ومنهم من عرفها في ضوء عدد السكان، بإعتبار ان هناك حد ادني للحجة السكاني الذي تعرف المدينة على اساسه. (حسن، 2005، صفحة 05)

• التعريف الإجرائي للمدينة:

المدينة هي وحدة اجتماعية وعمرانية تتميز بالكثافة السكانية العالية، والتنوع الاقتصادي، والتفاعل الاجتماعي المنظم ضمن إطار ثقافي مميز، وهي ليست مجرد تجمع سكني، بل فضاء حضري متكامل فيه الأدوار والعلاقات لتلبية احتياجات الأفراد والمجتمع، متأثرة بعوامل ديموغرافية، اقتصادية، وثقافية.

2.3- الفضاء العام:

• **لغة:** (espace) :وَسَطٌ مِثَالِيٌّ، يَتَمَيَّزُ بِظَاهِرِيَّةِ أَجْزَائِهِ، تَتَمَرَّكُ فِيهِ مَدَارِكُنَا (Percept) ، وَتَالِيًا يَتَضَمَّنُ كُلَّ الْفَضَائِلِ الْمُتَنَاهِيَةِ (اندرية، 2001، صفحة 362).

• **إصطلاحا:** يعد المجال من المفاهيم المهمة والمحورية داخل الطرح الخاص "ببيير بورديو"، ويمكن التذليل على ذلك إذا تم الكشف عن ان "بورديو" يتعامل مع المجتمع بوصفه فضاء اجتماعي يتضمن عددا من المجالات

الفرعية، كما يستبدل "بورديو" مفهوم الفضاء الاجتماعي أحياناً بمصطلح المجال الاجتماعي العام، حتى يميزه عن المجالات الفرعية الأخرى. (أبو دوح ، 2017، صفحة 41)

فمن الناحية "الجغرافية والمعمارية" يستخدم الفضاء العام للإشارة إلى المساحة الفعلية التي تحتوي على جميع الأماكن في الفضاء العام، والتي يمكن الوصول إليها بحرية ومجاناً ويحتفظ به لهذا الغرض، ويقابله جزء في شبكة المرور والساحات والشوارع والمساحات الخضراء، فالفضاءات العامة هي جميع المساحات التي تديرها الوصول أو مخصصة للاستخدام العام، ويمكن الوصول إليها بحرية ويمكن لأي شخص الاستفادة منها، وليس من أجل الربح، ويشمل ذلك الشوارع والمساحات المفتوحة والمباني العامة والحدائق. (مسعودي و شعلان، 2021، صفحة 496)

وتعريف "تايلر" أن الفضاء العمومي يتواجد داخل المجتمعات العامة، حيث يُعرف بأنه "فضاء عام موضوعي" يتكون من مجموعة من الفضاءات العامة، يتجاوز هذا الفضاء البعد المادي ليكون فضاءً عمومياً له بعد تجريدي من الناحية الاجتماعية والفلسفية، ينشأ من تجمع الناس في مكان معين.

يمنح الفضاء العمومي بعداً اجتماعياً وتفاعلياً، حيث يتصل بالأنشطة النقاشية، والأعياد، والشعائر التي تجمع الأفراد، رغم أن الفضاء العمومي يُقترن بالموقع المادي، إلا أنه يرتبط أيضاً بالتفاعلات الاجتماعية والممارسات الثقافية التي تحدث فيه، مما يجعله نقطة التقاء حيوية للنقاشات العامة والتعبير عن الهوية الجماعية. (تشارلز، 2016، صفحة 106)

ويسميه "إرفنج كوفمان" (Erving Goffman) بالأماكن العامة وشبه العامة، وتشمل الشوارع والمتنزهات والمطاعم والمسارح والمتاجر وأرضيات الرقص وقاعات الاجتماعات وأماكن التجمع الأخرى لأي مجتمع، وهي الأماكن التي تحدد سلوك الفرد في حياته اليومية.

والفضاءات العامة عند تيري باكو، هي الفراغات والمساحات والبنائات ذات الإستعمال العام، والتي يمكن الولوج إليها مجاناً أو بمقابل، وأهمها وأكثرها استعمالاً من العامة وتشمل شبكة الطرقات والشوارع والساحات والأفنية والحدائق وكل طريق موجه للعامة سواء في المدن أو في التجمعات الحضرية. (عبد السلام، 2021، صفحة 461)

• **تعريف إجرائي للفضاء العام:** الفضاء العام هو منطقة مفتوحة ومشاركة داخل النسيج الحضري، يتمتع الأفراد بالحق في الوصول إليها واستخدامها لأغراض متعددة، مثل التنزه، التفاعل الاجتماعي، والمشاركة في الأنشطة الثقافية والسياسية. يشمل الفضاء العام مجموعة من المرافق مثل الشوارع، الساحات، الحدائق، والمتنزهات، ويمتاز بتوفير بيئة تفاعلية تدعم التواصل بين الأفراد وتساهم في تعزيز الهوية المجتمعية. يتميز الفضاء العام بكونه مجالاً خالياً من القيود الخاصة، حيث يمكن للجميع استخدامه بحرية، مما يعزز من مبدأ الديمقراطية ويعكس التعددية الثقافية في المجتمع.

4- التأصيل التاريخي للفضاء العام وأهم تحولاته

أدى الفضاء العام (Public Space) على مدار التاريخ دوراً مهماً في حياة المجتمعات، وفي التعبير عن عاداتها وتقاليدها، كما شكل الصيغة المعمارية والعمرانية التي تمارس بها تلك المجتمعات احتفالاتها وشعائرها، وتعبّر عن رأيها.

إن التتبع التاريخي لعمران المدن في الحضارات المختلفة يكشف لنا عن أهمية دور الفضاء العام وحيويته في الحضارات السابقة، ومدى تأثيره في تشكيل مجتمعاتها، ففي الحضارة الإغريقية، سُمي الفضاء العام

"الأغورا"، حيث إن الحضارة الإغريقية اهتمت كثيرًا - في بنيتها الفكرية والمفهومية - بالمحاورات والفكر الفلسفي والمنطقي، فاعتمدت الفضاءات المفتوحة كي تسمح بممارسة هذا النشاط وكان أهمها "الأغورا"، الساحة المكشوفة التي يجتمع فيها السكان، وتحيط بها المباني العامة أو تتصل بها، مثل السوق ومباني الحكم والمسرح والجمنازيوم، وكانت بمنزلة قلب المدينة النابض بحياة سكانها الذين جعلوا منها إطارا لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وكان الناس في المدن والمستقرات الإغريقية لا يُمضون في بيوتهم من الوقت إلا القليل، فيكونون في معظم يومهم في "الأغورا" لقضاء أغراضهم الخاصة والعامة المختلفة. (عبد الرؤوف، 2019، صفحة 14)

من جهة أخرى، تعني «الأغورا» لغويًا مكان التجمع، ثم أصبحت، بالتدريج، تمثل الملتقى العام والسوق في المدينة الإغريقية القديمة، حتى تطورت لتصبح المركز السياسي والاجتماعي والتجاري للمدينة، وكان الفيلسوف اليوناني "سقراط" (469-399 ق.م.) يمضي معظم وقته في "أغور" مدينة أثينا، مناقشا أفكارا وقضايا في حوار مفتوح مع مريديه وتلاميذه وزوار المكان.

هذا العنصر المهم في عمران المدينة الإغريقية، أي "الأغورا"، يمثل البداية الحقيقية لنشأة فكرة الفضاء العام الإنساني في المدينة، والذي أصبح مكونا رئيسًا من مكونات المدن المعاصرة. كذلك الأمر بالنسبة إلى الحضارة الرومانية، حيث كانت الساحة المسماة "الفورم" مكانًا لتجمع الناس في المدينة الرومانية، وإن كانت وظيفتها الأولى مرتبطة بكونها ساحة للقانون والدين، تبعًا لمفاهيم تلك الحضارة التي أعطت ثقلًا كبيرًا للمحاكمات ودور القضاء وتعاليم الدين.

أدت «الفورم» أدوارًا متعددة ومتغيرة في حياة سكان المدينة الرومانية وزوارها، فإلى جانب أنها كانت أيضًا موقعًا لسوق المدينة الرئيس، كانت تمثل بؤرة اهتمام للنشاط الاجتماعي والسياسي المتعدد، والمكان الذي استوعب النقاشات السياسية والمجادلات الفكرية ومجالا للاحتفالات العامة، خصوصًا في المدن الكبرى التي كانت تمثل فيها مع المسرح المفتوح والحمامات العامة والسوق وحدة عمرانية متكاملة لخدمة سكان المدينة. (عبد الرؤوف، 2019، صفحة 15)

هابرماس يذكر بأن الفضاء العام لعب دورًا رئيسيًا في تطوير، ونقد، وشرعة الديمقراطية، تطوره مرتبط بتحديث المجتمعات، فمنذ البداية كان الفضاء العام، الذي تجلّى بشكل خاص في الصحافة، يسعى إلى تحقيق تواصل ممكن بين مختلف الفئات الاجتماعية، وبشكل أدق إيصال احتياجات ومصالح الفاعلين البرجوازيين في المجتمع المدني إلى صناع القرار.

سلط كتابه الصادر عام 1962 الضوء على نوع من تدهور الفضاء العام المعاصر تحت تأثير وسائل الإعلام، التي أصبحت ضحية أو متواطئة مع منطق تجاري متزايد، وهو تشخيص تم تبنيه لاحقًا في العديد من الدراسات، لم يعد الفضاء العام يشكل فضاءً للنقد من قبل المواطنين النشطين، بل أصبح بشكل متزايد مجرد فضاء سلبي للاستهلاك.

ومن الجدير بالذكر أن هابرماس نفسه خفف من حدة استنتاجاته لعام 1962، في الطبعة الجديدة لعام 1991 من كتابه "الفضاء العام"، معترفًا بأنه تأثر في السابق ببعض الأبحاث في دراسات الاتصال، لا سيما تلك التي أجراها "لازارسفيد"، والتي كانت تركز بشكل كبير على تأثير وسائل الإعلام هذا الكتاب، الذي يتميز بثناء تاريخي وفلسفي، يمكن تلخيصه كالتالي: الفضاء العام هو مجموعة من الأشخاص الخواص المجتمعين لمناقشة قضايا ذات مصلحة مشتركة، هذه الفكرة نشأت في أوروبا الحديثة، من خلال تكوين فضاءات عامة برجوازية،

كانت بمثابة مواجهة للسلطات المطلقة، تتمثل وظيفة هذه الفضاءات في التوسط بين المجتمع والدولة، حيث تصبح الدولة مسؤولة أمام المجتمع من خلال العلانية، وهو المفهوم الذي تحدث عنه "كانط" بـ "العلانية النقدية". (Patrick, 2001, p. 49)

وعليه يبرز هابرماس أهمية الفضاء العام في نشأة الديمقراطية، حيث كان وسيلة لنقل احتياجات المجتمع إلى صناع القرار، لكنه لاحظ تراجع مع هيمنة الإعلام التجاري، مما حوّل من فضاء للنقد إلى فضاء استهلاكي سلبي. لاحقاً، خفّ من استنتاجاته الأولية، معترفاً بتأثره بدراسات إعلامية سابقة، خلاصة فكرته أن الفضاء العام نشأ كأداة للعلانية والمساءلة بين المجتمع والدولة، وهو ما وصفه كانط بالعلانية النقدية.

5- أنواع الفضاءات العمومية

الفضاءات العمومية هي مساحات متاحة للجمهور، تستخدم للتفاعل الاجتماعي، الترفيه، التنقل، وممارسة الأنشطة اليومية، بحيث تتعدد أنواع هذه الفضاءات بناءً على تصميمها ووظائفها، ومن أبرزها:

1.5- الشوارع (الطرق): تعد الشوارع أحد أشكال الفضاءات العامة التي تحمل مفاهيم متعددة، تختلف باختلاف الزمن والاستعمال. ينشأ الشارع مع توزع الكتل المبنية على جانبي الطريق، ويُنظر إليه كعنصر مجالي يمكن إدراكه من بُعدين: الفيزيائي والروحي.

فالجانب الفيزيائي يتمثل في كونه طريقاً تحيط به المباني والمنازل، وقد يكون واسعاً أو ضيقاً، ذا امتدادات منتظمة أو غير منتظمة، مما يؤثر على حركة الهواء وتغلغل الضوء داخل المباني، كما يتيح استكشاف الطابع العمراني والمعماري للمدينة. أما الجانب الروحي، فيكمن في دور الشارع كمكوّن أساسي للحياة الحضرية على مر العصور، حيث كان دائماً فضاءً لممارسة مختلف الأنشطة الاجتماعية والتفاعل بين الأفراد. (الوافي، 2003-2004، صفحة 13)

كما يضمن الشارع لمستعمليه وظائف متعددة منها:

يؤدي الشارع وظائف متعددة لمستعمليه، حيث:

✓ **يعد فضاء معيشياً:** لا يقتصر دوره على مرور المركبات والمشاة، بل يعكس تفاعل الأفراد مع البيئة الحضرية، مما يجعله جزءاً من نمط الحياة اليومية ومجالاً لبناء العلاقات الاجتماعية.

✓ **يؤدي وظائف اجتماعية:** يمثل مساحة للتواصل، حيث يلتقي الأفراد ويتفاعلون، مما يعزز الروابط الاجتماعية، ويدعم التبادل الثقافي، ويحتضن الأنشطة الجماعية.

✓ **يسمح بالتنقل:** يشجع على استخدام وسائل النقل المستدامة، مما يخفف الازدحام المروري، ويجعل منه بيئة تفاعلية تلبي احتياجات المستخدمين وتحسن جودة حياتهم.

✓ **يوفر فضاء للعب:** يتيح للأطفال مساحة لممارسة الأنشطة الرياضية، مما يساهم في تنمية مهاراتهم الاجتماعية والحركية، ويجعل الشارع جزءاً من تجربتهم اليومية.

كما يسمى بعض المخططين الحضريين الفضاءات العمومية بالمجالات العمومية، ويقومون بتصنيفها إلى عدة أنواع وفقاً للوظيفة التي أنشئت من أجلها، تتضمن هذه الأنواع الشوارع والممرات، التي تُخصص بشكل رئيسي لوظائف التنقل والعبور، إذ تشكل شرايين المدينة التي تربط بين مختلف أجزائها، مما يسهل حركة الأفراد والمركبات ويؤثر على ديناميكيات الحياة الحضرية، وتختلف هذه الشوارع في تصنيفها، فمنها الشوارع الرئيسية التي تتحمل كثافة مرورية عالية، والشوارع الثانوية التي تخدم الأحياء والمناطق السكنية، والممرات الضيقة التي غالباً ما تُستخدم للمشاة والتنقل المحلي. (خلف الله، 2016، صفحة 42)

2.5- الحدائق: الحديقة فضاء عام ذو أهمية خاصة في المدينة، يغلب عليه الطابع الطبيعي، حيث تُحيط بها النباتات والأشجار، وقد تتضمن مباني بتصاميم متنوعة تؤدي وظائف وخدمات مختلفة، مثل الأنشطة الثقافية، الرياضية، والسياحية، لتلبية احتياجات زوارها الذين يرتادونها بغرض الترفيه والاستجمام.

تفتح الحدائق أمام الجميع إما بشكل دائم أو في أوقات محددة حسب المناسبات، وغالبًا ما تكون مملوكة للدولة. وتنبأين في أشكالها وحجمها وموقعها تبعًا لوظائفها، فتشمل الحدائق العامة، الجوارية، والحضرية، إلى جانب المساحات الطبيعية مثل الغابات، كما تعد الحديقة متنفسًا طبيعيًا يلجأ إليه الأفراد للتخفيف من ضغوط الحياة الحضرية. (الوافي، 2003-2004، صفحة 14)

كما تمثل الحدائق في كثير من الأحيان أمكنة للتواصل والتفاعل الاجتماعي سواء بين الزوار المنتظمين أو بين الزوار المؤقتين، بحيث تمتاز الحدائق والمنتزهات بكونها مفتوحة لأي شخص، سواء من الفقراء أو الأغنياء من السكان إلى الزوار (ستيفان، 2019، صفحة 159).

بحيث تعد الحدائق فضاء عامًا ذا أهمية خاصة في المدينة، حيث توفر بيئة طبيعية تجمع بين الجمال البيئي والتصاميم العمرانية المتنوعة، كما تلعب هذه الفضاءات دورًا حيويًا في تقديم خدمات ترفيهية وثقافية ورياضية وسياحية، مما يجعلها متنفسًا هامًا لسكان المدن ما يساهم في التخفيف من الضغوط الحضرية واليومية.

3.5- الأسواق: يعتبر السوق فضاء عمومياً يجمع مختلف الفئات الاجتماعية، حيث لا يقتصر دوره على النشاط الاقتصادي، بل يمتد ليشكل مجالاً للتفاعل الاجتماعي والثقافي، فمنذ العصور القديمة كان السوق مركزاً للحياة العامة، يجمع بين البائعين والمشتريين، ويوفر مساحة للحوار والتفاوض وتبادل الأفكار.

وفي السياقات الحضرية الحديثة، لا يزال السوق يحتفظ بدوره كمكان يعكس التحولات الاقتصادية والاجتماعية، حيث يُعد مرآة للبنية الاجتماعية، ويعكس أنماط الاستهلاك وأساليب العيش، كما أن الأسواق الشعبية والمركزية تؤدي وظائف تتجاوز التبادل التجاري، إذ تصبح فضاءً للتفاعل الاجتماعي والتفاوض وممارسة الثقافة الشعبية، ويقول "إيدمون دوتيه" أن حياة القبيلة تجري تقريباً في السوق الأسبوعي، ففي السوق يلتقي الأهالي الذين لا يقضون حاجياتهم الاقتصادية، أي يبيعون ويشتررون فحسب، وإنما يكون السوق بالنسبة إليهم المحل الذي يتم فيه تبادل الأخبار السياسية، وتصدر فيه الأوامر والتسلط، ففي السوق يتكون الرأي العام، وتتخذ القرارات فيما يخص الحرب والسلام. (مناد، 2020، صفحة 96)

4.5- المقاهي: تعد المقاهي من أبرز الفضاءات العامة التي تجمع بين الطابع الاجتماعي والثقافي، حيث تشكل نقاط التقاء للأفراد من مختلف الفئات للتواصل، وتبادل الأفكار، والاسترخاء، وعلى مر التاريخ لعبت المقاهي دوراً محورياً في الحياة الحضرية، إذ لم تقتصر وظيفتها على تقديم المشروبات، بل أصبحت فضاءات للنقاشات الفكرية، والأنشطة الثقافية، وحتى الاجتماعات غير الرسمية، كما أن تنوع أنماطها، من المقاهي التقليدية إلى الحديثة، يعكس التحولات الاجتماعية والتغيرات في أساليب الحياة، مما يجعلها عنصراً مهماً في النسيج الحضري والمشهد العام للمدينة. (مناد، 2020، صفحة 236)

5.5- المكتبات والمتاحف: هي فضاءات ثقافية ضمن الفضاء العام، حيث توفر إمكانية الوصول إلى المعرفة، وتشكل مراكز للتفاعل الفكري والفني. فهي ليست مجرد أماكن لحفظ الكتب والمقتنيات التاريخية، بل تُعد فضاءات عمومية تنظم فيها معارض، ندوات، وأنشطة تعليمية تُسهم في تنمية الوعي الثقافي وتعزيز الهوية المجتمعية، مما يجعلها جزءاً أساسياً من المشهد الحضري والتواصل الاجتماعي.

6.5- الفضاءات الترفيهية والرياضية: تعد جزءاً لا يتجزأ من الفضاء العام، حيث توفر بيئة مفتوحة تتيح للأفراد فرصاً للتفاعل الاجتماعي، وتعزز الشعور بالانتماء المجتمعي، فهي لا تقتصر على كونها أماكن لممارسة الأنشطة البدنية فحسب، بل تمثل أيضاً فضاءات مشتركة تساهم في بناء العلاقات الاجتماعية وتقليل الفجوات بين الفئات المختلفة داخل المجتمع.

وعليه تشكل الفضاءات العامة عنصراً أساسياً في الحياة الحضرية، حيث توفر بيئة مشتركة تجمع الأفراد للتفاعل الاجتماعي، والتنقل، وممارسة الأنشطة اليومية. وتتعدد أنواع هذه الفضاءات وفقاً لوظائفها، فتشمل الشوارع التي تعد شرايين المدينة وحلقة وصل بين أجزائها، والحدائق التي توفر متنفساً طبيعياً للترويح والاستجمام، والأسواق التي تجمع بين الوظيفة الاقتصادية والتفاعل الاجتماعي، والمقاهي التي تشكل فضاءات للحوار والتواصل الثقافي، كما تضم الفضاءات العامة المكتبات والمتاحف التي تعد مراكز لنشر المعرفة وتعزيز الهوية الثقافية، إلى جانب الفضاءات الترفيهية والرياضية التي تساهم في بناء الروابط الاجتماعية وتعزيز الاندماج المجتمعي، يعكس هذا التنوع أهمية الفضاء العام في تشكيل النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمدينة، مما يستدعي تنظيمه والحفاظ على دوره كمجال مشترك يعزز جودة الحياة الحضرية.

6- المقاربة السوسيولوجية للفضاءات العامة

أصبح الفضاء محور اهتمام علماء الاجتماع، نظراً لما تفرضه العناصر المكانية والمادية من تأثيرات على البناء الاجتماعي، والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية، فالإنسان في تفاعله مع بيئته يسعى إلى التكيف معها أو إعادة تشكيلها وفق احتياجاته، مما يجعل الفضاء ليس مجرد حيز جغرافي، بل إطاراً ديناميكياً يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية وطرق تنظيمها.

يتميز كل مجتمع بشبكة من العلاقات التي تربط الأفراد، حيث تساهم في تشكيل الفضاءات العامة ومنحها وظائف اجتماعية محددة، فالمدينة باعتبارها فضاء مشيداً، تحمل بصمة النشاط الإنساني وتعكس مستوى الترابط بين الأفراد، إذ تفرض أنماطاً معينة من العلاقات التفاعلية التي تؤثر على طبيعة التعايش الاجتماعي.

كما أن التغيرات التي تطرأ على الفضاء لا تؤثر فقط على بنيته المادية، بل تمتد إلى العلاقات الاجتماعية، فتخلق أشكالاً جديدة من التفاعل، أو تعزز أنماطاً من التقارب أو التباعد بين الأفراد، فالفضاء ليس عنصراً محايداً، بل هو نتاج اجتماعي وثقافي يتشكل وفق تفاعل الإنسان مع محيطه، حيث يعيد الأفراد إنتاج فضاءاتهم بما يتناسب مع تصوراتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فيؤثرون فيه كما يتأثرون به. (بومخلوف، 2001، صفحة 51)

كما تعد الفضاءات العامة مثل الحدائق، الساحات، والممرات التجارية أماكن تجمع طبيعية تتيح للأفراد فرصة اللقاء والتفاعل اليومي، سواء كان ذلك من خلال المحادثات العفوية، أو الأنشطة المشتركة، أو المناسبات الاجتماعية والثقافية، كما تساهم هذه الفضاءات في خلق بيئة تعزز الإحساس بالانتماء إلى المجتمع، حيث يتشارك الأفراد تجارب حياتية متنوعة، مما يخفف من الشعور بالعزلة، خاصة في المدن الكبرى التي يطغى عليها الطابع الفردي، بالإضافة فإن الفضاءات العامة توفر مجالاً للتواصل بين مختلف الأجيال، مما يعزز التفاهم بين الفئات العمرية المختلفة ويساهم في بناء نسيج اجتماعي أكثر تماسكاً.

يرى "موانيل كاستلز" M.Castells "أنه لا وجود لنظرية الفضاء دون أن تكون هذه الأخيرة مرتبطة بالنظرية الاجتماعية شاملة، بمعنى لا يمكن النظر إلى الفضاء، على أنه إنتاج مادي بمعزل، إن العناصر

الاجتماعية والمعنوية، التي تدخل في تكوينه، لأن الفضاء لا يوجد إلا بما يحويه فهو بناء منظم لما يتضمنه من أحداث وأشخاص، وأفعال، واتصالات، وتعارف، وأشياء، وعلاقات ... (مناد، 2020، صفحة 96)

حيث تطرق "بيلز" "Bales" في نظريته، بأن التفاعل الاجتماعي هو السلوك الظاهر للأفراد في موقف معين، وفي إطار الجماعة الصغيرة، والتي تتكون من أي عدد من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض وجها لوجه مرة واحدة أو عدة مرات، ويعرف كل منهم الآخر بصورة متميزة ويستجيب له". (سامية خالد، 2023، صفحة 71)

كما يرى أغلب المهتمين بالمجال أن ما يميز المجال اليوم هو بعده السياسي وحضوره القوي في ذهن الأفراد، وفي هذا الصدد نستحضر واحدة من أهم المقالات التي حاولت أن تسأل المجال الحضري أو "الأيديولوجيا الحضرية" كما عبر عنها "هنري لوفيفر"، هذه المقالة المعنونة بـ "الأيديولوجيا والبيوتوبيا" استحضارنا لهذه المقالة، يعني استحضار رؤية "هنري لوفيفر"، هذا الأخير ينتقد ما أسماه بالأيديولوجيا الحضرية المتمثلة في وضع قوانين سلطوية على الأفراد قصد التحكم فيهم في المجال بهذه الرؤية وبهذه العين الثاقبة لعالم الاجتماع الفرنسي هنري لوفيفر، يمكن لنا قراءة المجال قراءة نقدية وكذا فهم العلاقات الاجتماعية المتأصلة في المجال، هذه العلاقة الاجتماعية التي توجد بين الفاعلين الاجتماعيين والسلطة، هي علاقة مبنية على المقاومة المجالية والسلطة في الوقت نفسه، ولتوضيح الفكرة فقد ركز هنري لوفيفر على تحليل وانتقاد الدولة لوضعها الإنتاج الرأسمالي والأيديولوجي للمجال الحضري، الشيء الذي جعله يسلط الضوء على الجانب السياسي للفضاء الحضري، ويمكن تلخيص ذلك في المقولة التالية: "الفضاء الحضري كإنتاج سياسي وكأداة ممكنة للتغيير". (بوطاهري، 2020، صفحة 32)

وبما ان الفضاءات العامة الحضرية في المدينة الجزائرية هي مفتاح لقراءة علاقات القوى وأشكال الصراع المادية والرمزية السائدة في كل مرحلة تاريخية في المجتمع، أن هذه الفضاءات بمختلف أشكالها، تمثل هوية المدينة الثقافية والسياسية والاجتماعية، لهذا نجدها هدفا دائما لإستراتيجيات التملك والاستلاء.

وعليه فالفضاءات العامة ليست مجرد أماكن بل تعكس التفاعل الاجتماعي وتؤثر على العلاقات بين الأفراد، حيث تسهم في تشكيل نسيج اجتماعي متماسك من خلال اللقاءات والأنشطة المشتركة، كما أن هذه الفضاءات توفر بيئة للتواصل بين الأجيال وتعزز الشعور بالانتماء، خاصة في المدن الكبرى، وفقا لنظرية "بيلز"، يعد التفاعل الاجتماعي سلوكا ظاهرا يتجسد في الجماعات الصغيرة، بينما يرى "هنري لوفيفر" أن الفضاء الحضري ليس محايدا، بل هو إنتاج سياسي يخضع للتحكم الأيديولوجي والسلطوي، ما يجعله ساحة للصراع والتغيرات الاجتماعية.

7- أبعاد التحديات على الفضاءات العامة

تعد الفضاءات العامة من الركائز الأساسية في الحياة الحضرية، حيث تتيح للأفراد فرص التفاعل الاجتماعي، والتنقل، وممارسة الأنشطة المختلفة في بيئة مفتوحة ومشاركة، غير أن هذه الفضاءات لم تعد بمنأى عن التحديات التي تتخذ أشكالا متعددة، بدءا من الاحتلال العشوائي للأرصعة والمساحات العامة، وصولاً إلى استغلالها لأغراض اقتصادية غير منظمة.

إن فهم التحديات على الفضاءات العامة يقتضي النظر إليها من زاويتين رئيسيتين: اجتماعية واقتصادية، فمن ناحية ترتبط هذه الظاهرة بالتحوللات المجتمعية، وأنماط الاستخدام العشوائي للفضاء العام، وغياب الوعي الجماعي حول أهمية الحفاظ عليه، ومن ناحية أخرى تعكس العوامل الاقتصادية ضغوطاً متزايدة تدفع الأفراد إلى

البحث عن موارد رزق خارج الأطر الرسمية، مما يؤدي إلى انتهاك المساحات المشتركة بطرق غير قانونية، وسنحاول تحديد الأبعاد أو الزوايا المختلفة، الأساسية لهذه الظاهرة على النحو التالي:

مع تسارع عملية التحضر، شهدت الفضاءات العامة تغيرات عميقة أدت إلى انحرافها عن دورها الأصلي كمراكز للتفاعل الاجتماعي والأنشطة الحضرية، فبدلاً من أن تكون فضاءات نابضة بالحياة في قلب المدينة، بدأت تتراجع تدريجياً نحو الأطراف، مما أدى إلى فقدان دورها الحيوي في الحياة الحضرية.

يرتبط مفهوم الحيوية في الفضاءات العامة بقدرتها على الاستمرار والتطور، حيث تناول كيفن لينش في كتابه نظرية الشكل الجيد للمدينة هذا المفهوم، مشيراً إلى أن شكل المدينة ووظائفها وتركيباتها الاجتماعية تشكل عناصر أساسية في دعم متطلبات الحياة الحضرية، من جانبه يرى الباحث "Novy" أن الأنشطة البشرية تمثل المحرك الأساسي لديناميكية الفضاءات العامة، ومع تصاعد المشكلات الحضرية، برز الاهتمام بإيجاد حلول لإعادة تنشيط هذه الفضاءات وتعزيز دورها في المجتمع.

وفي ظل هذه التغيرات، توسع البحث في مجال الفضاءات العامة ليشمل أبعاداً متعددة، حيث أسهمت مجالات السوسولوجيا، والبيئة، والجغرافيا في مناقشة سبل استعادة دورها الفاعل، مما يعكس أهمية الحفاظ على هذه الفضاءات كركيزة أساسية للحياة الحضرية المتوازنة. (Yanan, 2024, p. 326)

كما كان الشارع يمثل فضاء اجتماعياً بامتياز، حيث شكل محورا للحياة اليومية واحتضن أنشطة متنوعة امتدت من العمل والتجارة إلى التفاعل الاجتماعي والترفيه، فقد كان الشارع فضاءً للعمل بالنسبة للفئات الأكثر عدداً والأقل حظاً، حيث لجأ العديد من الأفراد إلى مزاوله حرف مختلفة داخله لتأمين احتياجاتهم الأساسية وتجنب مخاطر الفقر والتشرد والتسول المنتشر آنذاك، وبفضل هذا الدور الاقتصادي، أصبحت التجارة من أبرز الأنشطة التي ازدهرت في الشارع، حيث كان التجار يعرضون بضائعهم في الهواء الطلق، بينما عمل الحرفيون أمام محلاتهم ودكاكينهم، ما عزز الطابع الاقتصادي المفتوح لهذا الفضاء.

لكن رغم أهميته الاقتصادية والاجتماعية، لم يكن الشارع فضاء سلمياً بالكامل، بل كان أيضاً مسرحاً لمظاهر العنف والاعتداءات التي نتجت عن التنافس على الموارد والمساحات العامة. فقد شكّل مجالاً للصراعات بين الفئات المختلفة، سواء بين الحرفيين والتجار أو بين الفقراء والعاطلين عن العمل، مما أضفى عليه طابعاً مزدوجاً، حيث جمع بين كونه مركزاً للنشاط الاقتصادي والتواصل الاجتماعي، وبين كونه ساحة للتوترات والنزاعات. (بن معمر، 2018، صفحة 76)

ومع التحولات الحضرية المتسارعة، ازدادت الضغوط على هذا الفضاء، ما أدى إلى بروز أنماط جديدة من التعدييات ومنها: (ميادة حكمت يوسف، 2019، صفحة 112)

✓ انتشار الباعة الجائلين الذين يستغلون الأرصفة والطرق دون تراخيص، مما يعيق حركة المشاة ويساهم في الفوضى الحضرية.

✓ بناء أكشاك ومحلات تجارية عشوائية على حساب المساحات المخصصة للمارة.

✓ تدمير الممتلكات العامة مثل المقاعد، أعمدة الإنارة، والنوافير، مما يؤدي إلى تدهور البنية التحتية للفضاء العام.

✓ ركن السيارات بشكل عشوائي على الأرصفة مما يعوق حركة المارة.

✓ استغلال الساحات العامة في أنشطة غير مرخصة، مثل الأسواق الفوضوية أو الفعاليات غير المنظمة.

كل هذه العوامل تساهم في تفكيك الدور الاجتماعي للشارع وتحوله من فضاء مفتوح للتفاعل الحضري إلى بيئة مشحونة بالفوضى والعنف والتحديات المستمرة.

اما الباحث "روان بيرش" تطرق الى العوائق والتحديات التي تضر بالأفراد، وفي دراسته أن التعدي فهو بطبيعته خاص، حيث ينطوي على توغل غير قانوني في الممتلكات العامة من قبل جهة خاصة، لذا في حين أن جميع التحديات تعتبر عوائق، فإن ليس كل العوائق تعد تحديات.

كما يبدو أن التعدي مشكلة مزدوجة بالنسبة للمشاة، فهو لا يعيق الحركة فحسب، بل يمثل أيضا استيلاء غير مشروع على الرصيف العام، فتشير أصل كلمة التعدي وفقا لقاموس أكسفورد، بحيث تتضمن معانيه، (الاستيلاء، الاكتساب غير المشروع، التعدي أو التوغل ببطء، التملك ..) ولكن بثبات على أراضي أو حقوق أو نطاق عمل الآخرين، أو التقدم والتوغل خارج الحدود الطبيعية أو التقليدية، وهذا ما مكن الباحث "روان بيرش" يستنتج في دراسته أن التحديات ينظر إليها بريبة، فهي تمثل توسعا جسعا لممتلكات الفرد واستيلاء غير شرعي على حق عام. (Nicholas، 2010، صفحة 48)

وفي فعاليات الملتقى الدولي حول الأرغنوميا ودورها في الوقاية والتنمية، أبريل 2012، كان للأستاذين بوظيفة حمو والأحسن حمزة، مداخلة بعنوان أسباب عدم إستعمال الرصيف من طرف المشاة، حيث تطرقوا في استنتاجهم المتعلق بالعوامل الاجتماعية والثقافية التي تجعل المشاة لا يستعملون الرصيف بأن ذلك تجلى في: ظاهرة احتلال المقاهي للرصيف، وجود تجمعات شبابية على الرصيف، استلقاء المتسولين على الرصيف، عرض سلع المحلات على الرصيف، وجود الأكشاك غير المرخصة لها، عدم احترام الوقت المحدد لرمي القمامات، انتشار الباعة المتجولين على الرصيف، وضع القمامات على الرصيف، ركن السيارات على الرصيف، اختصار الطريق وربح الوقت.. إلخ، قد احتلت المراتب الأولى، كل هذه الأمور تجعل المشاة يفضلون المشي والسير على الطريق بدلا من استعمالهم للرصيف الذي وضع كصمام أمان يحميهم ويقيهم من خطر الطريق التي لا ترحم، حيث يعاني المشاة كثيرا من الصعوبات والعراقيل أثناء تواجدهم في الأرصفة سواء أثناء توجههم للعمل أو عند اقتناء الحاجيات اليومية والضرورية أو حتى التنزه، لكن الغريب في الأمر أن هذه العراقيل التي يتعرض لها المشاة هم أنفسهم أحيانا قد يساهمون فيها إلى جانب سائقي المركبات وأصحاب المحلات التجارية وغيرهم من مستعملي الطريق. (بوظيفة و حمزة الأحسن، 2012، صفحة 132)

كما نجد الباحث "جيرو" يلفت الانتباه إلى أن الساحات العامة في المجتمعات الرأسمالية الحديثة قد أفسدت بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية، فحلت الساحات التجارية مكان الساحات العامة، وتحولت الديمقراطية إلى شكلية مع تراجع النقاشات الجماعية لصالح حملات الدعاية والإعلانات. هذا الأمر أدى إلى تآكل قدرة الأفراد والجماعات على التفاعل بشكل نقدي ومؤثر في الحياة العامة. التعدي على الفضاء الحضري العام اليوم يمكن أن يُعتبر تجسيدا لهذا التحول، حيث يتم تقليص المساحات العامة المتاحة للتفاعل المجتمعي لصالح مشاريع تجارية أو أهداف فردية تعزز اللامساواة وتقيد حرية التعبير والمشاركة الفعالة.

تعد هذه التحديات بمثابة تهديد لمفهوم الساحة العامة كأداة للتغيير والتحرير الاجتماعي، مما يساهم في تعزيز الفجوات الطبقيّة والاجتماعية، ويمنع الأفراد من ممارسة دورهم كمواطنين في المجتمع، وبالتالي يشير "جيرو" إلى أن الحفاظ على الفضاءات العامة كمساحات حرة ومفتوحة يعد أمرا أساسيا لإعادة تفعيل الديمقراطية والمشاركة الفعالة، وفي هذا السياق، يمثل التعدي على هذه الفضاءات تهديداً جوهرياً للحرية والتغيير الاجتماعي (إسماعيل عمر، 2007، صفحة 257).

رغم أن بعض البرامج الحكومية تسعى إلى تنظيم هذه الأنشطة من خلال تخصيص مناطق معينة للبائعين، فإن هذه الحلول غالبًا ما تظل غير كافية لمواجهة تعقيدات الظاهرة، كما يشير باحثون مثل "فارغاس فايا" و "فالنسيا" (2019) إلى أن هؤلاء البائعون يعانون من غياب الأنظمة القانونية التي تنظم عملهم، ما يعزز من انتشار ممارسات التعدي على الفضاءات العامة، ومن جهة أخرى يناقش "بينيا" (2000) دور الجماعات شبه المافياوية التي تفرض رسومًا غير قانونية على البائعين مقابل السماح لهم بالبيع في مساحات محددة، مما يزيد من تعقيد الواقع الاجتماعي والاقتصادي لهذه الظاهرة.

كما يعتبر هذا التعدي في كثير من الحالات نتيجة مباشرة للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها البائعون، والذين يسعون لتحقيق دخل من خلال استغلال المساحات التي لا تُستخدم بشكل رسمي، ما يؤدي إلى تشكيل صورة حضرية مشوهة وغير منظمة. (Karen, 2023, p. 212)

كما تبين تصورات "هنري لوفيفر" و "يورغن هيرماس" لفهم للفضاء العام، هو إن النظريتين المتداخلتين في فهم الفضاءات الحضرية، لاسيما الفضاء المعيش (Lived Space) وفضاء الحياة (Life Space)، تساهمان في تشكيل فضاء اجتماعي جديد يُعتبر بمثابة مسرح الحياة اليومية، من خلال تفاعل الأفراد مع هذا الفضاء، يظهر التشابه بين النظريتين في اعتبار الفضاء العام ظاهرة اجتماعية تنشأ من تفاعل الأفراد مع بيئتهم، حيث يمكن ملاحظة تراجع هذا الفضاء نتيجة للممارسات الرأسمالية التي تُسهم في خصخصة الفضاءات العامة واحتكارها من قبل الأقلية، هذه الممارسات تؤدي إلى إضمحلال الفضاء العام، ما يخلق تداعيات اجتماعية خطيرة، مثل العزلة الاجتماعية وتوزيع غير عادل للموارد والفرص .

كما يشترك المفكرون في اعتبار الفضاءات الحضرية شاملة معاني مادية ورمزية، لكنهم يختلفون في تفسير الأسباب والتداعيات بناءً على خلفياتهم الفكرية، ففي حين يدافع هيرماس عن الحداثة والمشاركة الديمقراطية في الفضاء العام، بينما ينتقد لوفيفر الفكر الليبرالي ويشير إلى أن التقسيم الجغرافي الاجتماعي للفضاءات العامة داخل المدينة ما يزيد من الفوارق الاجتماعية ويعزز التعديات على الفضاءات الحضرية. (ضرغام، 2021، الصفحات 96-97)

وهذا ما شهدته المدن الجزائرية من تحولات حضرية سريعة أثرت على فضاءاتها العامة، حيث برزت ظاهرة التعديات بأشكال متعددة، مثل احتلال الأرصفة من قبل الباعة غير النظاميين، واستغلال الساحات العامة لأغراض تجارية غير مرخصة، وركن السيارات عشوائياً، تعكس هذه الظاهرة تداخل العوامل الاجتماعية والاقتصادية، إذ دفعت الأوضاع الاقتصادية العديد من الأفراد إلى البحث عن موارد رزق خارج الأطر الرسمية، مما أدى إلى انتهاك المساحات المشتركة، كما أن تراجع التخطيط الحضري الفعال، وضعف آليات الرقابة، ساهم في تعزيز هذه الممارسات، مما أفرز مشهداً حضرياً مضطرباً يهدد حيوية الفضاءات العامة ووظيفتها الاجتماعية. كما تعتبر ظاهرة احتلال الأرصفة من قبل الباعة غير النظاميين في الجزائر نتيجة مباشرة لتوسع الاقتصاد غير الرسمي، الذي ينمو بسبب عدة عوامل اقتصادية وإدارية، وفقاً لدراسة "يوسف بودلة" و"حمزة كواديك" بعنوان "الاقتصاد غير الرسمي في الجزائر وإشكالية دمج أنشطته في قنوات الاقتصاد الرسمي"، فإن هذا القطاع يتأثر بالتعقيدات البيروقراطية والضرائب المرتفعة، مما يدفع الأفراد إلى ممارسة أنشطة غير رسمية لتجنب هذه العقبات.

تُشير الدراسة إلى أن الاقتصاد غير الرسمي في الجزائر يتسم بعدة خصائص، منها:

- ✓ غياب التسجيل الرسمي: العديد من الأنشطة الاقتصادية تُمارس دون تسجيل رسمي لدى السلطات المختصة.
- ✓ التهرب الضريبي: تجنب دفع الضرائب والرسوم المستحقة للدولة.
- ✓ انخفاض مستوى التنظيم: عدم وجود هيكل تنظيمي واضح لهذه الأنشطة.
- تبرز الدراسة أيضًا أن انتشار هذا القطاع يعزى إلى:
- ✓ التعقيدات البيروقراطية: الإجراءات الإدارية المعقدة والمطولة لتسجيل الأنشطة التجارية.
- ✓ الضرائب المرتفعة: الأعباء الضريبية الكبيرة التي تدفع البعض للتهرب منها عبر النشاط غير الرسمي.
- ✓ نقص فرص العمل في القطاع الرسمي: مما يدفع الأفراد للبحث عن بدائل في القطاع غير الرسمي.
- لمعالجة هذه الظاهرة، تقترح الدراسة تبني استراتيجيات لدمج الاقتصاد غير الرسمي في القنوات الرسمية، من خلال:
- ✓ تبسيط الإجراءات الإدارية: تسهيل عمليات تسجيل الأنشطة التجارية وتقليل التعقيدات البيروقراطية.
- ✓ تخفيض الأعباء الضريبية: تقديم حوافز ضريبية لتشجيع الانتقال إلى القطاع الرسمي.
- ✓ توفير الدعم والتدريب: تقديم برامج تدريبية ودعم مالي لأصحاب الأنشطة غير الرسمية لتطوير أعمالهم ضمن الإطار الرسمي. (بودلة و كواديك، 2018)
- ووفقًا لدراسة "مسعودي احمد"، و"شعلان حسام الدين" بعنوان "الفضاء العام والتنظيم الحضري في المدن الجزائرية - مقارنة سوسيوأنثروبولوجية"، يعتبر الفضاء العام مسرحًا للتفاعلات الاجتماعية ومكانًا لتلاقح مختلف الثقافات والأفكار، التعدي على هذه الفضاءات من خلال الأنشطة التجارية غير المرخصة يؤدي إلى تدهور البيئة الحضرية ويقلل من جودة الحياة في المدينة، كما أن هذا الاستغلال غير القانوني يفقد الساحات العامة دورها الأساسي كمكان للتواصل الاجتماعي والتبادل الثقافي، مما يؤثر سلبًا على النسيج الاجتماعي والهوية الثقافية للمدينة.
- بالإضافة يؤدي هذا الاستغلال إلى تشويه المنظر العام للمدينة وعرقلة حركة المارة، مما يساهم في خلق بيئة غير منظمة ويؤثر على راحة وسلامة السكان، لذلك من الضروري تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على الفضاءات العامة وتنظيم استخدامها بما يتوافق مع القوانين والتشريعات المحلية، لضمان استمرارية دورها كمراكز للتفاعل الاجتماعي والثقافي. (مسعودي و شعلان، 2021)
- وايضاً في دراسة ميدانية أجراها الباحث "كريم أخلفهوم"، بعنوان "إشكالية المخالفات العمرانية في الجزائر: دراسة ميدانية لحالة بلدية بوفاريك (ولاية البليدة)"، تناولت ظاهرة المخالفات العمرانية التي شهدت تطوراً ملحوظاً في الجزائر منذ أواخر السبعينيات، أشارت الدراسة إلى أن زيادة المباني السكنية غير المطابقة للضوابط والمعايير التنظيمية للتخطيط الحضري تعود إلى عدة عوامل، أبرزها أزمة السكن، والهجرة المتزايدة نحو المدن والمراكز الحضرية نتيجة التنمية غير المتوازنة بين المناطق الريفية والحضرية.
- كما هدفت الدراسة إلى تشخيص هذه الظاهرة من خلال دراسة أشكالها، وعوامل ظهورها، وأسباب انتشارها، خاصة في ظل التحديات المتعلقة بإنتاج مدن صديقة للبيئة. اختيرت بلدية بوفاريك كنموذج لتسليط الضوء على هذه المخالفات العمرانية في الجزائر.

أظهرت النتائج أن المخالفات العمرانية في بوفاريك تنتوع بين البناء دون ترخيص، والتعدي على الأراضي الزراعية، وعدم الالتزام بمخططات التهيئة العمرانية. تعود أسباب انتشار هذه المخالفات إلى نقص الرقابة، وضعف تطبيق القوانين، بالإضافة إلى الضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الأفراد إلى البحث عن حلول سكنية بطرق غير قانونية.

أوصت الدراسة بضرورة تعزيز أدوات التخطيط الحضري، وتفعيل آليات الرقابة، وتطبيق القوانين بصرامة للحد من هذه المخالفات، كما دعت إلى تحقيق تنمية متوازنة بين المناطق الريفية والحضرية للحد من الهجرة نحو المدن، وتخفيف الضغط على المراكز الحضرية (أخلفوم، 2022).

وعليه تعكس ظاهرة التعديات على الفضاءات العامة والمخالفات العمرانية في المدن الجزائرية تحولات حضرية معقدة تتبع من تداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية، فقد أدى غياب التخطيط الحضري الفعال وضعف آليات الرقابة والمتابعة إلى انتشار ممارسات غير قانونية، مثل احتلال الأرصفة والمساحات الخضراء، واستغلال الساحات العامة بشكل غير منظم، والبناء دون ترخيص، مما ساهم في تشويه النسيج العمراني وإحداث خلل في توازن الفضاءات الحضرية، فضلاً عن التأثير السلبي على جودة الحياة اليومية للسكان، من خلال الحد من المساحات المشتركة وتحويل المدينة إلى بيئة أقل تنظيمًا وأكثر ازدحامًا.

إن هذه الظواهر لا يمكن اختزالها فقط في كونها استجابة لحاجة الأفراد إلى تأمين موارد رزق أو إيجاد حلول سكنية بديلة، بل إنها تعكس في جوهرها أزمة أعمق تتعلق بضعف السياسات الحضرية وغياب استراتيجيات الإدماج الاقتصادي والاجتماعي، فالتوسع العمراني العشوائي، إلى جانب تفاقم الفوارق الاجتماعية، يكشف عن قصور في آليات التخطيط التي لم تستطع استيعاب التحويلات الديموغرافية والاقتصادية، مما جعل الكثير من الفئات الهشة تلجأ إلى حلول غير نظامية لتلبية احتياجاتها الأساسية، وبالتالي، يتطلب التعامل مع هذه الظواهر تحسين التخطيط الحضري، وتعزيز الرقابة، ومراجعة سياسات الإسكان والتشغيل لتحقيق توازن بين التنمية واحتياجات الأفراد.

8- خلاصة:

وختاماً لهذه الدراسة يعد الفضاء العام ركيزة أساسية للحياة الحضرية، حيث يتجاوز كونه مجرد حيز جغرافي إلى كونه إطاراً ديناميكياً يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية وطرق تنظيمها. وقد أظهر التحليل أن الفضاءات العامة ليست محايدة، بل تتشكل وفقاً للتفاعلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تؤثر في استخدامها وإدارتها، كما تبين أن هذه الفضاءات تعزز التماسك الاجتماعي من خلال اللقاءات اليومية، لكنها في الوقت ذاته تصبح ساحة لصراعات القوى بين الأفراد والسلطات، كما أشار هنري لوفيفر في تحليله لطبيعة الفضاء الحضري.

وقد تطرق البحث إلى أنواع الفضاءات العامة، مثل الشوارع والحدائق، موضحاً أدوارها الاجتماعية والاقتصادية وأهميتها في تعزيز الروابط الاجتماعية، غير أن هذه الفضاءات تواجه تحديات متعددة، أبرزها التعديات العشوائية، التي تساهم في إضعاف وظيفتها الأساسية كمراكز للحياة الحضرية، كما أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أدت إلى تحولات في استخدام هذه الفضاءات، ما يستدعي إعادة النظر في آليات تنظيمها وإدارتها للحفاظ على دورها الفاعل.

كما أن الفضاءات العامة، بما تحمله من إمكانيات وظيفية واجتماعية، تمثل ركيزة أساسية في تحقيق تماسك المجتمع وتعزيز جودة الحياة الحضرية، مما يستدعي ضرورة حمايتها وتطويرها لتظل فضاءً حيويًا يخدم كافة الأفراد.

ومن خلال ها نقدم بعض التوصيات والإقتراحات المتوصل إليها ومن شأنها ان تكون مفيدة للجهات الوصية:

✚ ينبغي تطوير سياسات حضرية تضمن الحفاظ على الفضاءات العامة وحمايتها من التحديات، مع مراعاة البعد الاجتماعي والاقتصادي في التخطيط.

✚ ضرورة تفعيل القوانين وتنفيذ آليات رقابية صارمة تحدّ من الاستغلال غير القانوني للفضاءات العامة، مع فرض عقوبات على المخالفين.

✚ تنفيذ مشاريع لإعادة تهيئة الفضاءات الحضرية وفق معايير تضمن سهولة الوصول والاستخدام العادل لجميع فئات المجتمع، مما يعزز دورها في التفاعل الاجتماعي.

✚ وضع برامج لدعم الفئات الهشة اقتصاديًا، مثل خلق فرص عمل وتحسين الدخل، للحد من الدوافع الاقتصادية التي تؤدي إلى الاعتداءات على الفضاءات العامة.

✚ إطلاق حملات توعية تشجع على احترام الفضاءات الحضرية كحق مشترك، مع إشراك المجتمع المدني في عمليات الحماية.

- الإحالات والمراجع:

- أبريم سامية خالد. (2023). *علم النفس الاجتماعي*. عمان، الأردن: دار الجنان للنشر والتوزيع.
- احمد مسعودي، و حسام الدين شعلان. (2021). *الفضاء العام والتنظيم الحضري في المدن الجزائرية، مقارنة سوسيوانثروبولوجية*. مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 10 (العدد 02)، الصفحات 493-511.
- الفيروز آبادي مجد الدين. (2008). *القاموس المحيط*. القاهرة، مصر: دار الحديث.
- بوجمعة خلف الله. (2016). *تخطيط المدن ونظريات العمران*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- تايلر تشارلز. (2016). *المتخيلات الاجتماعية الحديثة*. (الحارث النبهان، المترجمون) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.
- تونيل ستيفان. (2019). *سوسيولوجيا الفضاءات الحضرية العامة*. (إدريس الغزوالي، المحرر) مجلة *إضافات* (العدد 46)، الصفحات 147-162.
- جمال بوطاهري. (2020). *الفضاء العام، سيروية تشكل المفهوم*. مجلة مركز جيل البحث العلمي (العدد 67).
- حمو بوظيفة، و حمزة الأحسن. (2012). *أسباب عدم استعمال الرصيف من طرف المشاة. الملتقى الدولي حول الأرغنوميا ودورها في الوقاية والتنمية بتاريخ 29-30 أفريل 2012* (الصفحات 115-132). جامعة الجزائر 02: مخبر الوقاية والأرغنومي.
- خالد كاظم أبو دوح. (2017). *النخب الاجتماعية في مصر*. القاهرة، مصر: دار النخب العربية.
- سعيد إسماعيل عمر. (2007). *آفاق تربية متجددة في التربية والتحول الديمقراطي*. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.
- سميرة مناد. (2020). *الفضاء العام في المجتمع التمثلات والممارسات*. عمان، الأردن: دار الجنان للنشر والتوزيع.

- شتية ضرغام. (2021). *الفضاءات العامة في مدينة عمان: بين التنوع الحضري والتباين الاجتماعي*. عمان، الأردن: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- طائر عاشور عبد السلام. (2021). دور الفضاءات العمومية في بناء الرباط الاجتماعي بالأحياء الجديدة- الساحات العامة بحي الوثام بالأغواط نموذجا. *مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية*، المجلد 04 (العدد 03)، الصفحات 457-475.
- عبد الحميد رشوان حسن. (2005). *مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري*. الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- عبد اللطيف الوافي. (2003-2004). *الساحات العامة في المدينة ما بين التصميم والإستعمال* (رسالة ماجستير). كلية العلوم الهندسية، بسكرة، الجزائر: جامعة محمد خيضر.
- عبد الله بن معمر. (2018). *الفضاء السكني في الثقافة الجزائرية - محاولة في أنثروبولوجيا المنزل*. الجزائر: دار كنوز الإنتاج والنشر والتوزيع.
- علي عبد الرؤوف. (2019). *شعب وميدان ومدينة: العمران والثورة والمجتمع القصة الإنسانية والمعمارية والعمرانية لميدان التحرير*. عمان، الأردن: المركز الجامعي للأبحاث ودراسة السياسات.
- كريم أخلفهوم. (2022). *إشكالية المخالفات العمرانية في الجزائر، دراسة ميدانية لحالة بلدية بوفاريك ولاية البليدة*. *مجلة العمارة وبيئة الطفل*، المجلد 07 (العدد 02)، الصفحات 29-39.
- لالاند اندريه. (2001). *مؤسسة لالان الفلسفية*. (احمد خليل خليل، المترجمون) بيروت - باريس: منشورات عويدات.
- محمد بومخلوف. (2001). *التحضر*. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر.
- محمد عاطف غيث. (1995). *علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري*. القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- ميادة حكمت يوسف. (2019). *أثر التجاوزات على الأرصفة في قابلية التمشي في المناطق السكنية بمدينة السليمانى*, *Journal for Engineering Sciences Sulaimani*، المجلد 06 (العدد 03)، الصفحات 108-123.
- يوسف بودة، و حمزة كوايك. (2018). *الإقتصاد غير الرسمي في الجزائر وإشكالية دمج انشطته في قنوات الإقتصاد الرسمي-دراسة تحليلية*. *مجلة المقار للدراسات الاقتصادية*، المجلد 02 (العدد 02)، الصفحات 160-178.
- Blomley Nicholas. (2010). *Rights of Passage: Sidewalks and the Regulation of Public Flow*. Usa: Routledge.
- Karen, F. (2023). *Routledge Handbook of Urban Public Space*. United States (NewYork): Use, Design, and Management. Routledge.
- Patrick, B. (2001). *L'éthique dans la société de l'information*. Canada: Les Presses De Luniverité Lavel.
- Yanan, L. (2024). *the 8th International Conference on Energy and Environmental Science*. Switzerland: Springer Nature Switzerland AG.